كتب

## ثلاث روايات عن الحياة نفسها

# في الظل قصّة شقيقَين

**جعفر العلوني**

«بين الفينة والأخرى، كما لو تعلّق الأمر بنبوءةٍ صادقة، يقولون لي إنني قادرٌ على تغيير العالم وإنّ الحظ قريبٌ منّي جدّاً أو ربّما كان في داخلي. غير أنّني بلغتُ من العمر خمسة وعشرين عاماً، ولا زلت أعيش مع أبي وأُمّي. فقدَ أبي وظيفته في المختبر الذي عمِلَ فيه منذ تخرُّجه قبل ثلاثة عقود؛ أمّا أُمّي فقد قرّرَت البقاء في الكلية، بدايةً كطالبة دكتوراه، ولاحقاً كأستاذة الكيمياء غير العضوية. نحن الثلاثة نعيش في ثمانين متراً مربّعاً في ضواحي برشلونة»... بهذه المقدّمة يفتتح الكاتب الكتالوني جوردي نوبكا (Jordi Nopca، برشلونة 1983)، روايته الأخيرة «في الظل» (2019)، الصادرة عن دار Destino، والتي نال عليها «جائزة بروا» الكتالونية للرواية بوصفها «ممتعة ومشوّقة، لا سيّما وأنها تحاكي جيلاً كاملاً من الشباب في العقد الثالث من العمر يعيش في مدينة برشلونة اليوم». من يحدثنا أعلاه هو بيري، شابٌ في الخامسة والعشرين من عمره في خضمّ عملية البحث عن طريقه ومستقبله، وهذا ما يثير سخرية شقيقه، جوان، الذي يتمتّع بحياة أوضح ويعمل أستاذَ مدرسة، مغادراً بذلك منزل العائلة. ضمن هذا السياق، إنها رواية شقيقين، بيري، الشخصيّة الحيويّة، والذي يبدو في الرواية بحاجة ماسّة إلى نوع من العناية والعاطفة، لا سيّما في علاقاته الغرامية، جامعاً في شخصه بين حالة المراهقة النموذجية لشاب في مثل عمره والميل الخفي إلى الإخلاص عندما يُفقد السبب أو لم تعد العلاقة ممكنة؛ وجوان، الأخ الأكبر، نظيره وتلك الشخصية المُهمَلة والحسودة، ولكن بنظرة لاذعة للواقع تكاد لا تخلو من التشاؤم.

يقع الشقيقان في غرام الفتيات نفسهن: لاورا، صحافية تعمل ككاتبة تجارية؛ وكيت، عازفة كمان في أوركسترا إنكليزية. بالتوازي وعلى هذا النهج، تسير قصّة الأخوين الكاتبَين، أحياناً مثل نهرَين، وأحياناً أخرى مثل سيّارتَين في اتجاهين متضاربَين، لكنهما سيلتقيان في عدّة مناسبات، وبطريقة غير متوقّعة، على طول الرواية وكلها.

### منافسة في الكتابة

لعل نقطة التلاقي الأكثر إشكاليّة بين الأخوَين ستكون على اعتبار أنهما كاتبان أيضاً، لذلك ستكون المنافسة على المهنة الأدبية حاضرةً كذلك، حتّى على مستوى قراءة الرواية نفسها؛ فالجزء الأول من الرواية، والذي يحمل عنوان «ثاني أكسيد الكربون»، هو من تأليف بيري نفسه، وسينال عليه جائزة أدبية مرموقة. هنا تماماً ستظهر براعة نوبكا كروائي يكتب بقلم الأخ الأصغر بيري، مُبرزاً رشاقة نثره وتقلّبات شخصيته المراهقة. ولكن سرعان ما يتدخّل المؤلّف الحقيقي، نوبكا، متعاملاً مع النص من منظور عام: صيف، شقّة دون أبوين وانفصال عاطفي. يتعامل جوردي نوبكا مع كلّ هذه المعطيات التي تتداخل فيما بينها في الجزء الأول - بلسان بيري - بسحرٍ فريد. الأمر، إذاً، أشبه بلعبة، إنها ليست رواية، بل خدعة ينجذب القارئ لها بسهولة عندما يرى صورة جيل كامل تمرّ أمامه عبر شخصية بيري الذي يعيش مع والديه وينوق للاستقلال.

فجأةً يحضر القارئ تغيير الراوي الذي يبدأ في مفاجأته، من زاوية أُخرى، وكأنهما واقعان متوازيان، إنه جوان، شقيقه الأكبر وأستاذ في مدرسة ابتدائية في بلدة على بعد نصف ساعة من برشلونة. لقد أصبح جوان بالفعل الراوي، هكذا سيبدأ بكتابة فصل ثانٍ مستقلّ، سارداً بعض الحلقات التي أخبرَنا بها بيري من منظور آخر أو يبيّن ببساطة الدور الذي لعبه في تلك الأحداث. تبدأ القصّة في التعثُّر، ما فهمناه على أنه حقيقة واقعية من فم الأخ الأصغر لن يبدو كذلك في هذا الجزء، أو بالأحرى لن يكون شفّافاً بشكل كامل.

### منعطف ثالث

غير أن الأمر لن يتوقّف هنا، فسرعان ما سيظهر منعطف ثالث لمسار الأحداث سيكون بدوره هو الجامع لهذه الروايات الثلاث التي تدور حول الحياة نفسها. هنا ستنفتح الرواية على كلّ شيء: المراجع الموسيقية والسينمائية والأدبية التي ستعمل كعلامات هوية مشتركة مع قارئ متواطئ، إضافة إلى رغبة الكاتب في إقحام كل شيء تقريباً، بدءاً بالسياسية، ومروراً بالأحكام الجمالية، ووصولاً إلى الحكايات، بهدف تقديم الشخصيات الثانوية. في ضوء هذا كلّه، سيجد القارئ نفسه في هذا الجزء مضطرّاً إلى التدخّل بشكل أو بآخر كمفسّر للأحداث، وربما سيكون دوره أكثر من ذلك أيضاً، لا سيّما أنّنا في لحظة هامّة في السرد؛ حيث الموضوع لم يعد يتعلق بالأخوين، بل بفعل الكتابة نفسه. إننا في لحظة كشفية من السرد الروائي؛ حيث يتمّ الفصل بين الحقيقة وصلابتها، الواقع وقسواته، عدّة كيلومترات. هذا الأمر يثير، بدوره، المؤلّف، ويُغريه لمواصلة استغلال لعبة المرايا الفكرية هذه. مع هذا كلّه، فإنّ الأمر لن يستمر كذلك، إذ سينجح نوبكا، سواء بلسان بيري في الجزء الأول، أو بلسان جوان في الثاني، أو بصوته هو، في الرواية الكاملة، بفتح مساحات ضيّقة للعاطفة. هكذا، بفصاحة مبالغ فيها، تنقشع الغيوم عن المشاعر النقية والبائسة، وصولاً إلى حدود رواية رومانسية حديثة متكيّفة مع أخلاقنا وأماكننا في هذا العالم.

### دوّامة روائية

مما لا شك فيه أنّنا أمام دوّامة روائية متشابكة تروي قصّة شقيقين لهما أوجه تشابُه واختلاف؛ سواء من الناحية العاطفية أو المهنية. غير أن براعة جوردي تكمن في طريقة الحبكة المضحكة والذكية في آن معاً. الأخوان، متشابهان ومختلفان للغاية، يكتبان، والرواية تقودنا إلى قراءة ما كتباه. إنه نوع من الكتابة المشكالية؛ حيث يمكن النظر إليها من زوايا مختلفة، مكتشفين أنّ ليس لكل شيء ظلّه الخاص، من هنا كان عنوان الرواية.

«لقد كانت نيتي الأولى التركيز على شخصيّة واحدة في هذه الراوية - سرد قصة الأخ الصغير - لكن سرعان ما تحوّل الكتاب إلى حركة مزدوجة من التوسُّع والانكماش». بهذه الملاحظة يضع نوبكا نقطة النهاية على ثلاث روايات تسرد الحياة نفسها في الظل.

(كاتب ومترجم سوري مقيم في إسبانيا)

في برشلونة قبل الوباء (Getty)

## أي مصير للمسرح بعد الثورات العربية؟

# إعادة تشغيل المذبحة الديونيزوسية

**شوقي بن حسن**

منذ عقود، والحديث عن أزمة المسرح العربي على كلّ لسان. يبدو الأمر وقد أخذ مستوى أكبر من التعقيد منذ منعطف 2011، حين زعزعت الجماهير الغاضبة أنظمة بلدانها، وهزّت أيضاً طمأنينة نخبها إلى أدواتها - النظرية والإبداعية - حتى بدت منتجاتها متلعثمة أمام الأحداث المتسارعة. قلما جرت مواجهة هذه الإشكالية بشكل مباشر، حيث إن أزمة المسرح باتت مدخلاً لخطاب رثائي أو لنزعة شعاراتية تكرّر المعروف عن أهمية المسرح في بناء مجتمعات جديدة.

عبر طرح يذهب رأساً إلى الإشكاليات، يقرأ الناقد التونسي حاتم التليلي محمودي حال المسرح اليوم، وما حدث له من خلخلة مفهومية، في كتابه «الانقلاب الفرجوي.. مذابح ديونيزوس» (ديار للنشر والتوزيع، تونس 2020)، حين «مكّنت مرحلة الثورات العربية وما بعدها من مولد أنشطة اجتماعية محفوفة بغير قليل من الفنون الأدائية وأشكال فرجوية متنوعة وجدت اشتغالها في الاعتصامات والتظاهرات الاحتجاجية كما في الوسائط الافتراضية»، وفق تعبيره، ثم حدث أن «خرجت تلك الفُرجات من يد الثوريين والفنانين إلى يد الإرهابيين»، ما يعني انقلاباً داخل الانقلاب، لنقف أمام وضعية إشكالية تفرض على المسرح - وقد سُحبت الكثير من أدواته خارج الخشبة - لحظة توقّف مطوّلة لإعادة النظر في مقولاته ومفاهيمه وأهداف خطابه.

اعتمد المؤلف على ديونيزوس كاستعارة عابرة للنقاط التي عالجها طوال عمله، فإذا كان عنف المتطرّفين أكثر ما هزّ العالم في السنوات الأخيرة، فهو يراه عمليةَ إعادة تشغيل للمذبحة الديونيزوسية التي تعدّ طقوسها الرحمَ التي تشكّل ضمنها المسرح على فحص جذريّ للمفاهيم الدارجة في فهم الظواهر التي اشتغل عليها؛ فنظر في المعجم المفهومي المسرحي ووقف على قلق مفرداته اليوم، وتفرّع به البحث إلى رصد تمثّلات الظاهرة الإرهابية في الميديا والمجتمع ومن ثمّ فهم تقاطعاتها مع الفن، وقبل ذلك كان يقرأ في سياق عربي عام بدأ في 2011 ولا يزال حدثاً مستمراً نعيشه إلى اليوم. الفرجة كمفهوم هي الخيط الناظم للكتاب، فوحدها تمسك بالمسرح وبالثورات والعنف الإرهابي في قبضة نظرية واحدة، وما ديونيزوس إلا صورتها التي تعيّنها في الأذهان. من زاوية، تبدو الفرجة مريضة حين لا يجد المسرحيون ما يلامسون به جمهورهم إلا باستدعاء عناصر العنف والقبح من واقعهم، ونراها عفوية - بل ساذجة - حين يكون من السهل الاستيلاء عليها وتحويل وجهتها، ونجدها ماكرة حين يصف محمودي الإرهابيين بكونهم «أشخاصاً لا يمتّون بصلة إلى المسرح فلا دراية لهم بالتمثيل ولا بفنون الأداء لكنهم صنّاع فرجة في حياة ممسرحة سلفاً» ويشير أيضاً إلى أن الفرجات التي يقدّمونها «امتلكت مقوّمات النجاح الإنتاجي دون أن تتخلّى عن طابعها الرجعي». لا يفوت محمودي عقد مقارنات بين التقويضات التي يعرفها المسرح من المسرحيين أنفسهم (بريشت، أرتو...) والتقويض الذي يعيش على واقعه اليوم بشكل عفوي من الحركات الاحتجاجية، وبشكل مقصود وقطعي وعنيف من قبل المتطرّفين، وهم يقلبون مقولة نيتشه «لنا الفن كي لا تميتنا الحقيقة» إلى ضدّه السلبي «لنا الحقيقة كي نميت الفن»، بحسب عبارة المؤلف.

> يقارن بين تقويض المسرح من المتطرفين ومن المسرحيين أنفسهم

في اليونان القديمة، ولا ينسى هنا أن يشير إلى أن القربان الحيواني قد تحوّل إلى قربان آدميّ. ثم نقرأ عناوين فصول مثل: «ديونيزوس مقنّعاً»، و«ديونيزوس غريباً»، و«ديونيزوس مقاتلاً»، و«ديونيزوس حالماً»، فننتقل مع الشخصية الميثولوجية بين وجوه كثيرة من قضايا المسرح والفن وعدد من وجوه العالم الذي نعيش فيه. إلى جانب هذا البناء الاستعاري، أقام محمودي عمله

**النص الكامل**
على الموقع الالكتروني

## نظرة أولى

«زمن السحرة: فيتغنشتاين، وبنيامين، وكاسيرر، وهايدغر، والعقد الذي أعاد اختراع الفلسفة»، عنوانُ الكتاب الذي صدر حديثاً للباحث الألماني **ولفرام إيلنبرغر** عن «منشورات بنغوين». يعود العمل إلى عام 1919، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث شكّل منعطفاً حاسماً في تجربة أربع فلاسفة كتبوا بالألمانية في علاقتهم مع عائلاتهم، وتطوّرهم الأكاديمي، واضطراباتهم الاجتماعية. يتّخذ المؤلّف سيَرهم ذريعة لفهم فوارق أسّست لطروحاتهم الفلسفية لاحقاً، وفهم كل واحد منهم للوجود بوصفه طريقة لرؤية العالم والشعور به والاستماع إليه.

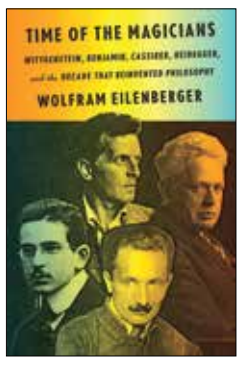





صدر حديثاً عن «دار خطوط وظلال» كتاب «أنساق التأويل: البحث عن الذات الإلهية وراء حجاب اللغة» للباحث الأردني **نارت قاخون**. يتناول العمل كيف تأسّست معارف ومناهج تروم الكشف عن معنى الآيات القرآنية وتفسيرها، وتحاول الإجابة عن جدل «الدلالة القرآنية» و«أسئلة القارئ ومقاصده المعرفية» إجابةً تحقّق أقصى درجات الاتساق الممكن بين «مقاصد النص» و«مقاصد قارئه»، كما يستعرض ما أنتجته التجربة الثقافية العربية الإسلامية من أنساق تأويلية متعددة مارست نشاطاً معرفياً يستحق أن يُدرَس في ضوء ما استجدّ من معارف إنسانية.

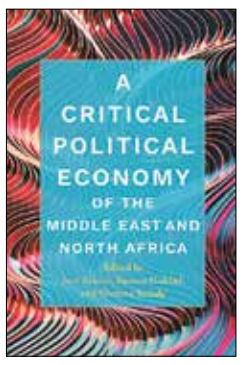


صدر حديثاً عن «منشورات جامعة ستانفورد» كتاب «اقتصاد سياسي نقدي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا» لمجموعة من الباحثين، بتحرير **بسام حداد**، و**شيرين صيقلي**، و**جويل بينين**. يقدم هذا الكتاب مشاركة مهمّة في الاقتصاد السياسي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا تتحدى الشائع حول أصول الرأسمالية في المنطقة. توضح مقالات الكتاب كيف يمكن للاقتصاد السياسي أن يضيء الآليات التاريخية والمعاصرة في المنطقة ويساهم في دراسة الطبقة والعرق والجنس وأشكال الهوية الأخرى، والأنماط المختلفة لتراكم رأس المال، إضافة إلى دور الحرب في تكوين الدول والطبقات.

عن «منشورات المتوسط»، صدرت حديثاً رواية «زمن القتل» للكاتب الإيطالي **إينيو فلايانو**، بترجمة عرفان رشيد. في إطار من الرمزية، يقارب المؤلّف بقسوة ساخرة طبيعة الحرب التي لا ترحم، من خلال رواية التجارب المخفقة والجرائم المقترفة التي لوّثت يَدَي ضابط إيطالي، وكأنها تمثيل للتاريخ الاستعماري كله، حيث ينطلق في سرده من وجع يصيب ضرس ذلك الملازم في الجيش الإيطالي، يدفعه للبحث عن طبيب ويبتعد عن معسكره في أفريقيا، وتقوده مغامرته التي بدأت بخطأ في اتجاه سيره إلى جملة أحداث تنتهي به كلصٍ وإرهابي هارب من حقائق وأوهام عديدة.

صدر حديثاً عن «دار سطور» كتاب «كيف تموت الديمقراطيات: ما يخبرنا به التاريخ عن مستقبلنا» لأستاذَي العلوم السياسة في «جامعة هارفارد»، **دانيال زيبلات** و**ستيفين ليفيتسكي**، بترجمة **رعد زامل**. في الكتاب استخلص المؤلّفان دروساً ثاقبة عبر التاريخ وأمثلة من بلدان مختلفة؛ من حكم الجنرال بينوشيه في تشيلي إلى التقويض الهادئ للنظام الدستوري في تركيا وصولاً إلى ما فعله ترامب في أميركا، وأمثلة كثيرة استناداً إلى سنوات من البحث، يقدّمان فهماً عميقاً لكيف ولماذا تموت الديمقراطيات؛ وتحليلاً مقلقاً لكيفية تقويض الديمقراطية اليوم.

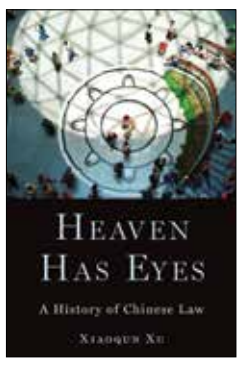


صدر حديثاً عن «منشورات جامعة أكسفورد» كتاب «السماء لها عيون - القانون والعدالة في التاريخ الصيني»، للباحث **شياو تشون شو**، وفيه يؤرّخ للقانون والعدالة الصينيين من العصر الإمبراطوري إلى ما بعد ماو. يتناول الكتاب تطوّر ووظيفة القانون في تاريخ الصين ويفحص الانتقال من القوانين التقليدية إلى نظيراتها الحديثة. بحسب المؤلف، كان هناك توقع دائم بأن العدالة يجب أن تتحقق في المجتمع كتوافق بين العقل السماوي وقانون الدولة. لم يتغير هذا المفهوم حتى مطلع القرن العشرين عندما جاءت سيادة القانون لتحل محل الكونفوشيوسية.

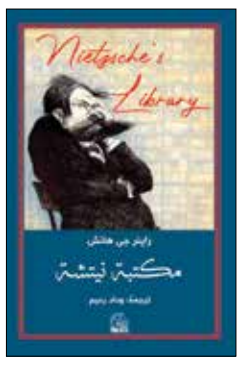


«مكتبة نيتشه» عنوان كتابٍ لـ **راينر جي هانش**، صدر حديثاً عن «دار أبكالو» بترجمة **وداد رحيم**. يتتبّعُ العملُ الكتبَ التي قرأها الفيلسوف الألماني (1844 - 1900) وشكّلت مراجع لكتاباته، إضافةً إلى المحاضرات التي أشرف عليها، والموسيقى التي كان يستمعُ إليها، والأماكن والأوقات التي كتب فيها. يُرتّب المؤلّف ما قرأه نيتشه من كُتب وفق ترتيب زمني، مُعتبراً أنّ ذلك يساعد في رسم نقاط التقاطُع بين قراءاته وكتاباته، ومعرفة متى كان يقرأ، وما هي أكثر الكتب فائدةً بالنسبة إليه، وهما ما يتيح فهماً أفضل لعلاقته بالكتّاب والشعراء والمفكّرين.

عن «دار الرافدين»، صدر حديثاً كتاب «الفلسفة في بداية القرن الحادي والعشرين - مقدّمة قصيرة عن الفلسفة الكندية» لـ **قيس ناصر**. ينطلق العمل من اعتبار أنّ الفلسفات الغربية الراهنة ليست هي فقط الفلسفات المعروفة للقارئ العربي، بل توجد فلسفات وشخصيات وموضوعات ما تزال مجهولةً لديه، وأنّ ذلك ينطبق على الفلسفة الكندية التي تميّزت في موضوعَي الهوية والتعدُّد الثقافي. يُشدّد الباحث على أنّ البحث في فلسفة بلدٍ ما لا يعني التخلّي عن السؤال الفلسفي الكوني، مع الإشارة إلى أنّ السؤال الفلسفي المحلّي أصبح من أبرز سمات فلسفات العصر الحالي.